مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب
Issn: 2572-0058 Eissn: 2676-1696
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/485
المجلد:10 العدد: 01 جانفي (2026) ص227 / 236

"

الجرح والسفّاح" لعمار بن لقريشي: مقاربة سيميائية تأويلية في ضوء نظرية القراءة والتلقي

Eldjorhwaessffah" by AmmarBenlokrichiA Semiotic Interpretive Approach in Light of the Theory of Readingand Reception

نصيرة سويسي
جامعة المسيلة (الجزائر)
nacera.souici@univ-msila.dz

احمد امين بوضياف *
جامعة المسيلة (الجزائر)
ahmedamine.boudiaf@univ-msila.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2025-09-27
تاريخ القبول:
2026/01/04

الكلمات المفتاحية:
- ✓ الجرح، السفّاح،
- ✓ السيميائيات،
- ✓ القراءة والتلقي، الرمز،

الملخص:

يستند هذا البحث إلى مقاربة سيميائية تأويلية لنص "الجرح والسفّاح" للشاعر الجزائري عمار بن لقريشي، كما ورد في ديوانه مقام الاغتراب (دار الروائع، سطيف، 2015). يهدف المقال إلى تفكيك البنية العميقة للنص من خلال تتبّع العتبات النصية، بدءًا من العنوان، ثم الخطاطة العاملية، فالمربع السيميائي، وصولاً إلى التحليل الإيقاعي والرمزي والبلاغي، وانتهاءً بالتأويل الفلسفي. كما يبيّن البحث أنّ النص يقوم على صراع ثنائي متوتر بين الذاكرة والنسيان، والحياة والموت، بما يرسخ البنية الدرامية التي تحكم مجمل مسار القصيدة. ويخلص المقال إلى أن نص "الجرح والسفّاح" يتأسس على رؤية وجودية ــ عرفانية تجعل من الجرح علامةً مضادةً لسطوة السفّاح، ومن الكلمة فعلاً مقاوماً يتجاوز حدود القمع إلى أفق الخلود الرمزي.

* المؤلف المرسل

الجرح والسفّاح" لعمار بن لقريشي: مقاربة سيميائية تأويلية في ضوء نظرية القراءة والتلقي

Abstract :

This study applies a semiotic and hermeneutic approach to the poem "The Wound and the Executioner" by Algerian poet AmmarBenlokrichi, included in his collection Makam al-Ightirab (Dar Al-Rawae, Setif, 2015). The article aims to uncover the deep structure of the poem by analyzing its textual thresholds, beginning with the title, followed by the actantial schema, the semiotic square, the rhythmic, symbolic, and rhetorical levels, and concluding with philosophical interpretation. It concludes that the poem establishes an existential–gnostic vision in which the wound becomes a counter-sign to the executioner's domination, and the word an act of resistance transcending oppression toward a horizon of symbolic immortality.

Article info

Keywords:

- ✓ *The wound, the executioner,*
- ✓ *semiotics,*
- ✓ *reading and reception,*

المقدمة:

يندرج النص الشعري الجرح والسفّاح ضمن أفق شعري متوتر يزاوج بين الهمّ الفردي والجرح الجمعي، إذ يقدّم الشاعر عمار بن لقريشي تجربة شعرية متوغلة في الحفر الرمزي عبر لغة عالية الكثافة، تقاوم المباشرة وتستعيض عنها بتشكيلات بلاغية وصورية تستدعي التأويل. إنّ مقاربة النص وفق المنهج السيميائي لا تقف عند حدود تفكيك بنياته السطحية، بل تنفذ إلى ما وراء البنية، إلى الطبقات الدلالية العميقة التي تُحكم العلاقات بين عناصر النص وصوره وإيقاعاته) 1.(

يستند البحث إلى رؤية مركّبة تجمع بين السيميائيات البنيوية كما أسس لها غريماس (2)، وجمالية التلقي كما نظّر لها ياوس (3)، والتأويل العرفاني الذي يفتح النصوص على أفق فلسفي وروحي. ومن ثمّ، فإنّ هذا المقال يهدف إلى:

1. تحليل البنية العنوانية بوصفها عتبة نصية تشتمل على إشارات أولية للصراع.
2. بناء الخطاطة العاملية لتحديد أدوار الفاعلين والعوامل.
3. دراسة المربع السيميائي بوصفه أداة تكشف العلاقات الثنائية وصراعاتها.
4. تتبّع الحدّات الخطابية الكبرى التي تغيّر اتجاه الدلالة.
5. تحليل البنية الإيقاعية وربطها بالتوتر الدلالي.
6. الكشف عن الرموز والأساطير المضمرة في النص.
7. مقاربة البنية البلاغية ـ الصورية.
8. تقديم قراءة تأويلية فلسفية للنص.

إنّ هذه الخطوات لا تهدف فقط إلى وصف النص، بل إلى كشف دينامية اشتغاله وكيفية تلقيه من طرف القارئ الذي يتنقّل بين مستويات متعدّدة من القراءة، ابتداءً من التذوق الجمالي، وصولاً إلى التأويل الفلسفي.

الإطار النظري-المنهجي:

تندرج هذه الدراسة ضمن حقل السيميائيات الأدبية التي أسس لبناتها الأولى رولان بارت، وتطورت مع أ. ج. غريماس ومدرسة باريس، حيث أصبح النص الأدبي يُقارب باعتباره بنيةً دلاليةً عميقة تُفكك عبر أدوات تحليلية متعددة. ومن أبرز هذه الأدوات: الخطاطة العاملية التي تحدد القوى الفاعلة والعلاقات التي تنظم مسار السرد والخطاب، والمربع السيميائي الذي يتيح كشف البنى الدلالية العميقة المولِّدة للمعنى من خلال تقابلات وتضادات.

كما تستند هذه المقاربة إلى التحليل البلاغي (الصور، الاستعارات، التوازي، التكرار) والمستوى الإيقاعي (التفعيلة، النبر، التكرار الصوتي) من أجل ربط البنية الشكلية بالبنية الدلالية. ويُضاف إلى ذلك المستوى التأويلي-الفلسفي الذي ينفتح على رموز الجرح والسفّاح بوصفها دلالات وجودية وأنطولوجية تحيل إلى صراع الإنسان مع الموت والذاكرة والنسيان.

وبهذا فإننا نزاوج بين ثلاثة مستويات تحليلية متكاملة:

1. السيميائي-التركيبي: يشتغل على الخطاطات العاملية والمربعات السيميائية.
2. الإيقاعي-البلاغي: يبرز البنية الشكلية وانعكاسها على الدلالة.
3. التأويلي-الفلسفي: يستخرج الأبعاد الرمزية والميتافيزيقية للنص.

هذا الاختيار المنهجي يتلاءم مع طبيعة النص "الجرح والسفّاح"، إذ يتسم بكثافة رمزية وصور شعرية حداثية تُحيل على مخزون أسطوري ووجودي، مما يستدعي أدوات تتجاوز الوصف السطحي إلى بناء نموذج دلالي متكامل.

تحليل العنوان: الجرح والسفّاح

يُشكِّل العنوان في النصوص الشعرية الحديثة عتبة أساسية[1]، فهو يُؤطّر أفق التلقي ويوجّه مسارات القراءة. وعنوان "الجرح والسفّاح" يقوم على ثنائية مشحونة بالدلالة:

الجرح: علامة على الألم، الفقد، الانكسار الجسدي والروحي. وهو في الثقافة العربية والإسلامية رمزٌ للمعاناة التي تنبثق عنها الكتابة، إذ غالباً ما يُنظر إلى الشعر بوصفه "نزيفاً" من الذات.

السفّاح: يتجاوز معناه المعجمي (القاتل الذي يكثر سفك الدماء) ليُحيل على سلطة غاشمة أو قوة عمياء تهدد الكينونة الفردية والجماعية.

يضع العنوان القارئ منذ البدء أمام تقابل سيميائي:

(جرح = ضحية) مقابل (سفّاح = جلاد).

(كتابة/ذاكرة) مقابل (محو/موت).

بهذا يصبح العنوان بمثابة مربع دلالي أولي يُؤسّس لكل القراءات اللاحقة: فهو لا يصف وضعية سردية بقدر ما يكثّف جدلية الحياة والموت، والكتابة والدم. ومن هنا فإن "الجرح" يتحول إلى ذاتٍ فاعلة تبحث عن استعادة المعنى عبر الكلمة، بينما "السفّاح" هو القوة المضادة التي تسعى إلى إلغاء هذا المعنى.

الإطار النظري التفصيلي

1. الخطاطة العاملية

الخطاطة العاملية كما بلورها غريماس[2] أداة تكشف دينامية النص عبر ستة عناصر:

المرسل :(destinateur) القوة التي تدفع الفاعل نحو الهدف (القيم العليا: الحرية، الذاكرة، الكلمة).

الذات :(sujet) الفاعل الذي يسعى لتحقيق الهدف (الجرح/الشاعر).

الموضوع :(objet) ما ينشده الفاعل (الخلاص/الحرية/الذاكرة).

المرسل إليه :(destinataire) من يعود إليه تحقق الهدف (الجماعة، الإنسان، القارئ).

المساعد :(adjuvant) القوى المساعدة (الكتابة، اللغة، المقاومة).

المعارض :(opposant) القوى المعرقلة (السفّاح، النسيان، الموت).

هذا النموذج يكشف أن النص يتحرك ضمن صراع بين ذات جريحة تسعى إلى تثبيت معنى وجودها عبر الكلمة، وقوة سفّاكة تحاول محوها.

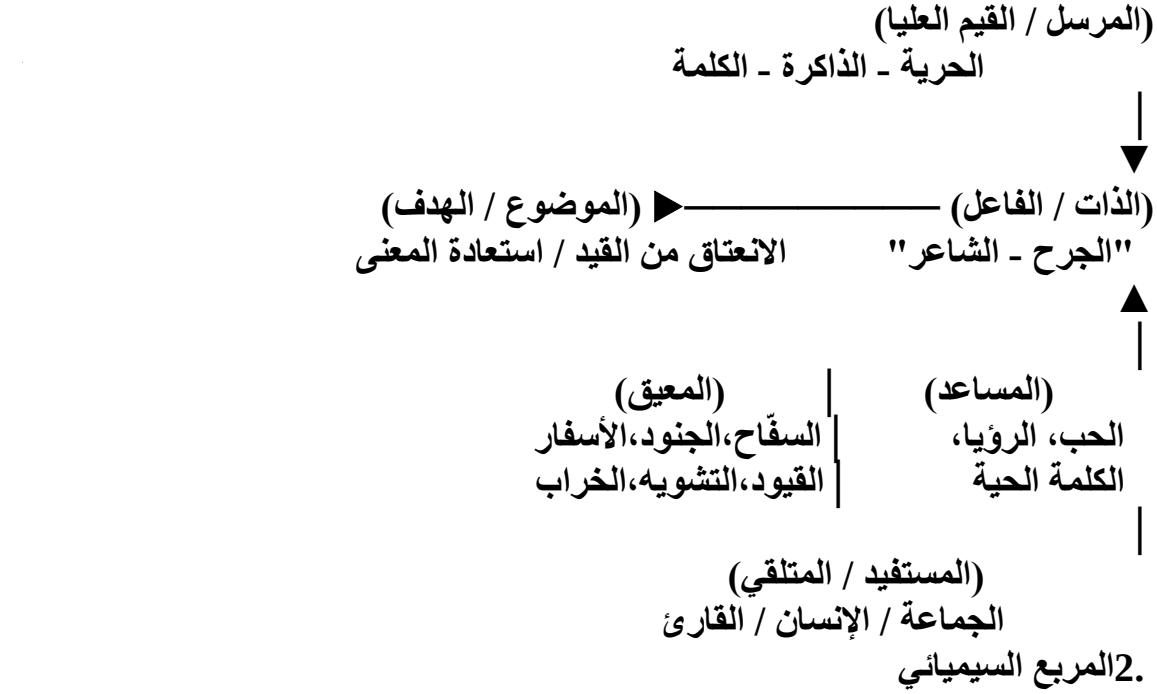

.2المربع السيميائي

المربع السيميائي[3] يكشف البنية العميقة عبر شبكة من التضاد والعلاقات:

الحياة ↔ الموت

الذاكرة ↔ النسيان

وتتولد عنه تقاطعات دلالية:

الحياة مع الذاكرة = البقاء الرمزي عبر الكتابة.

الموت مع النسيان = الفناء التام ومحو الأثر.

الحياة مع النسيان = حضور مبتور/اغتراب.

الموت مع الذاكرة = خلود رمزي/شهادة.

هكذا يُبرز المربع أنّ النص يتحرك ضمن توتر دائم بين رغبة الذات في البقاء عبر الذاكرة وبين تهديد السفّاح الذي يسعى إلى إغراقها في النسيان والموت.

المربع يشتغل على ثنائية الجرح / السفّاح وما يقابلها من تضادّات وتكاملات:

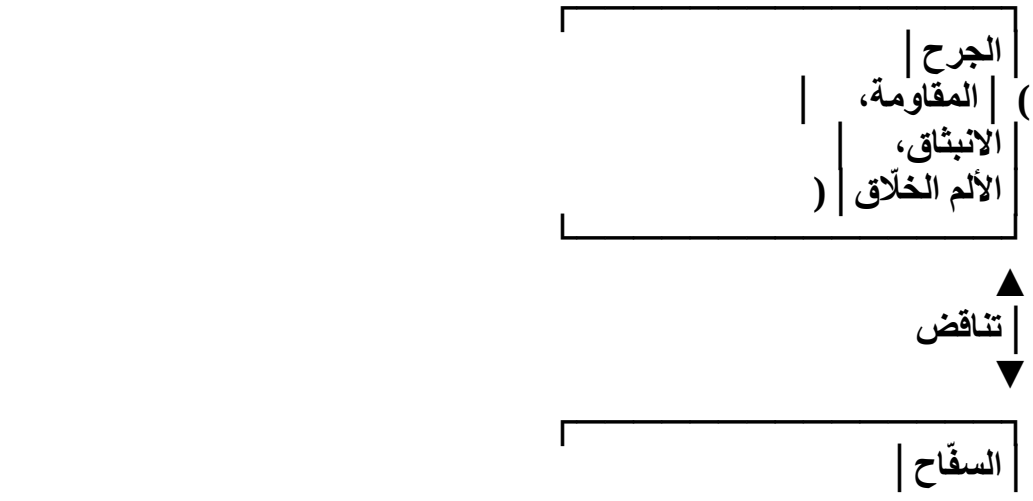

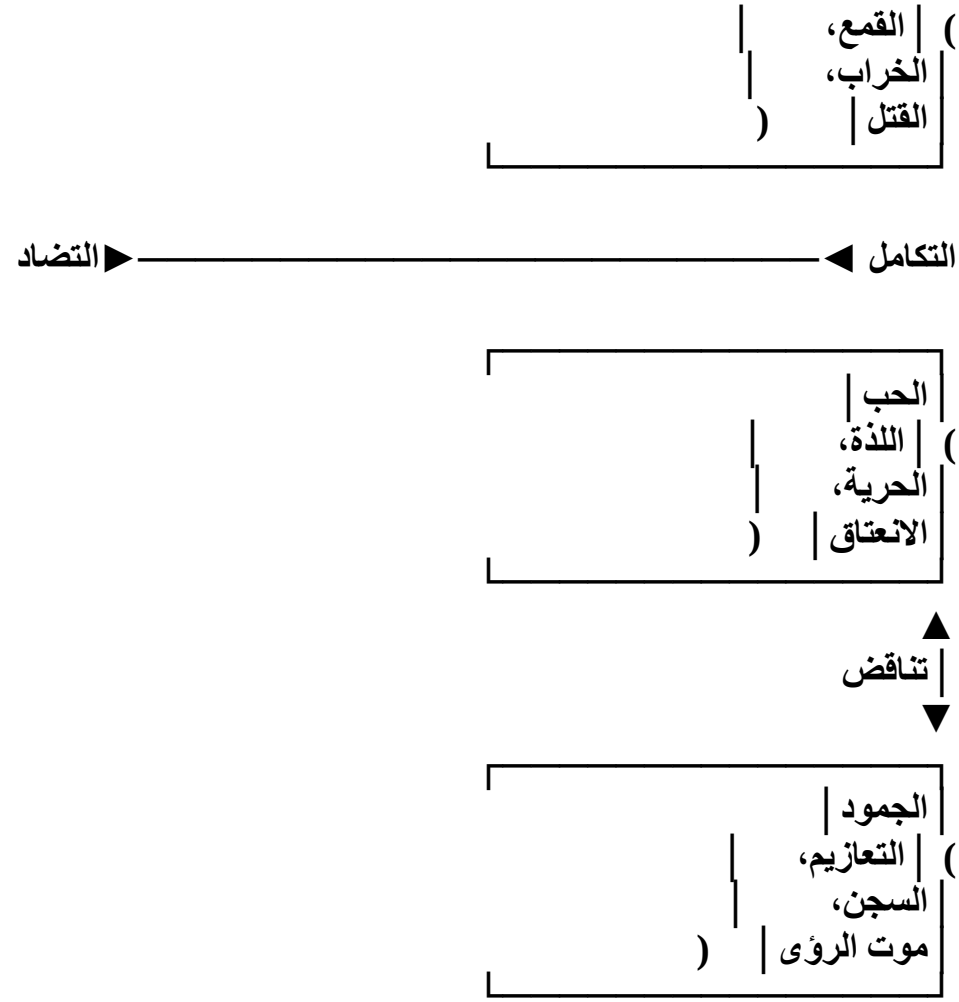

بهذا الشكل يظهر لنا:
أن الجرح ليس مجرد معاناة بل طاقة مقاومة.
أن السفّاح يمثل منظومة القمع والخراب.
أن التضاد الأساسي هو بين الحب/الحرية و السفّاح/الجمود.

.3البلاغة (الاستعارة، التكرار، التوازي)

الاستعارة: يتحول "الجرح" إلى ذات ناطقة، والدم إلى لغة، ما يجعل التجربة الجسدية مجازاً عن التجربة الشعرية.

التكرار: يظهر كآلية إيقاعية دلالية، يعيد إنتاج صورة الألم والرفض، ويؤكد صراع الذات ضد الإلغاء.

التوازي: يتجلى في البنية التركيبية للنص، حيث تتكرر الجمل المتقابلة لتجسيد التوتر بين الضحية والجلاد.

هذه الأدوات البلاغية لا تُفهم بوصفها زينة شكلية، بل باعتبارها آليات دلالية تسهم في تشييد المعنى، وتكشف عن الطابع الجدلي للنص.

أولاً: التحليل الإيقاعي وربطه بالحدّات الخطابية

النص "الجرح والسفّاح" يقوم على نظام التفعيلة (بحر المتدارك – فاعلن)، وهو البحر الأكثر ملاءمةً للتوتر والانكسار بفضل نبضه المتسارع وقدرته على التعبير عن الاختناق الداخلي.

.1الحدث الافتتاحي (الابتداء)

يبدأ النص باستفهام استهلالي: «من أين تبدأ المسافة..؟.»

الإيقاع هنا يتسم بالانكسار عبر تقطع الجمل وقصرها، وهو ما يوازي حيرة الذات في لحظة البداية.
التكرار الصوتي (الهمس بالحروف المهموسة مثل السين والفاء) يخلق موسيقى تعكس الانكسار والاضطراب.

.2حدث الأمر (المواجهة المباشرة)

عند دخول "السفّاح" بوصفه قوة مواجهة، يتصاعد الإيقاع: تتكاثف الجمل الأمرية والنداءات، وتغدو التفعيلة أكثر انتظاماً.
مثال: «إنُ الجرح لذّة..». هنا نجد إيقاعاً تقريرياً صارماً يتجاوز التردد الأولي، ليصبح الخطاب مواجهةً صريحة مع السفّاح.

.3حدث الاستحضار (التأمل/التذكر)

في المقاطع اللاحقة، حين يتحول النص إلى استدعاء الذاكرة والشهداء، يتباطأ الإيقاع:
تطول الجمل الشعرية.
تظهر تراكيب متوازية تعكس التأمل العميق («الجرح لا ينام.. / الجرح لا يساوم..»).
هذا التباطؤ الإيقاعي يعكس انتقال النص من لحظة المواجهة إلى لحظة استحضار القيم والمعنى.
الربط بين الإيقاع والحدّات الخطابية
الابتداء: إيقاع متقطع = حيرة الذات وضياع الاتجاه.
الأمر/المواجهة: إيقاع صاعد، تقريري = دخول السفّاح/تصعيد الصراع.
الاستحضار: إيقاع متباطئ، متوازن = تعالي الذات عبر الذاكرة والرمز.
إذن، الإيقاع ليس مجرد خلفية موسيقية بل هو بنية دلالية موازية تعكس تحولات الخطاب من التساؤل إلى المواجهة ثم إلى الاستدعاء.

ثانياً: المستوى الرمزي-الأسطوري

قصيدة "الجرح والسفّاح" تشتغل على شبكة من الرموز التي تتجاوز المعنى المباشر لتدخل في حقل الأسطورة والذاكرة الجمعية، حيث يتخذ "الجرح" و"السفّاح" هيئة كائنين رمزيين يتنازعان الوجود.

.1الجرح : من العلامة البيولوجية إلى الرمز الكوني

في النص، لا يظهر "الجرح" كأثر جسدي فقط، بل يتحول إلى بنية رمزية:
»هل يولد الجرح من أوردة السفر؟»: هنا الجرح يتجاوز الجسد ليغدو نتاجاً للرحلة الوجودية نفسها.
»يشبّ الجرح مطلياً بأصباغ المهرجين..»: الجرح ككائن ينمو، يتلوّن، يتزيّا، أي يتخذ بعداً حياتياً مستقلاً.
»الجرح لذّة»: انقلاب الدلالة من الألم إلى النشوة، أي إلى منطق التضحية والافتداء.
إذن الجرح في القصيدة هو رمز التضحية والشهادة، وامتداد للأساطير التي جعلت الدم قرين الولادة والبعث (أسطورة الفينيق، أسطورة تموز).

.2السفّاح: من القاتل التاريخي إلى القوة الأسطورية

السفّاح في النص يتجاوز كونه قاتلاً آنياً، ليغدو رمزاً للشر المطلق:
»السفّاح لن يتراجع»: يحمل صفة الإصرار القدري، وكأنه قدر أسود لا يلين.
»كان يريد الصعود إلى النبع / كان يريد التهام الحرف والأسفار والعمر»: السفّاح هنا ليس إنساناً عادياً، بل قوة تسعى لمحو التاريخ والمعنى.
»هكذا يثرثر جنوده فوق أوراقنا المغتصبة»: يتحول إلى رمز جماعي للاستبداد الذي يطاول حتى الذاكرة المكتوبة.
بذلك، السفّاح يقترن بصورة التنين الأسطوري الذي يحرس النبع ويبتلع الحكايات، في مقابل البطل/الشاعر الذي يحاول إنقاذ الذاكرة.

.3الثنائية الرمزية: الجرح ⇔السفّاح

الجرح رمز الحياة عبر التضحية.
السفّاح رمز الموت عبر الاستئصال.

لكن القصيدة تعكس جدلية معقدة:
الجرح يتضاعف ويتكاثر كلما ضربه السفّاح («ينوء بحمل ثقيل عبر الفيافي المزهرة بالشوك والثعابين..»).
السفّاح يسعى لدفن الجرح، لكن الجرح يتحول إلى ذاكرة مفتوحة تعيد إنتاج نفسها.
هنا يتشكل المربع الرمزي الأسطوري:
الحياة = الجرح/الذاكرة.
الموت = السفّاح/النسيان.
الصراع الأسطوري ليس بين شخصين، بل بين قوتين كونيّتين: قوى الدم/الحياة، وقوى السيف/المحو.
4.تجذر البنية الأسطورية في المخيال الجمعي
القصيدة تستعيد ملامح من الميثولوجيا القديمة:
أسطورة البعث: حيث الدم (الجرح) هو سبيل إلى الخلود.
أسطورة السفّاح/الطاغية: صورة النمرود أو فرعون، رمز الرغبة في السيطرة الكونية.
أسطورة الأرض/التضحية: الجرح الذي ينزف على "التل العتيد" يوازي دم الشهداء الذي يخصب الأرض.
إذن النص يعيد صياغة تجربة معاصرة (القمع، الاستبداد، الذاكرة الجزائرية المعذبة) في شكل ملحمة أسطورية تنقل التجربة من المحلي إلى الكوني.

ثالثاً: التحليل البلاغي-الصوري

إن قصيدة «الجرح والسفّاح» لعمار بن لقريشي تقوم على شبكة بلاغية كثيفة، تجعل من الصورة الشعرية أداةً لإعادة تشكيل الواقع والذاكرة والرمز. هذا المستوى البلاغي-الصوري هو ما يمنح النص قوته الجمالية ويعمّق دلالاته السيميائية، إذ تتحوّل الاستعارة والتكرار والتوازي إلى بنيات مهيمنة ترسم إيقاع التجربة.

1.الاستعارة التصويرية

القصيدة مليئة باستعارات كبرى وصغرى تجعل من المعاني المجردة كائنات حيّة:
»هل يولد الجرح من أوردة السفر؟«
استعارة أساسية تحوّل الجرح إلى كائن يولد، وتحوّل السفر إلى جسد له أوردة. هنا تتجلى شعرية التوليد: الألم يتحول إلى كيان مولود من مسيرة الذات.
»يشبّ الجرح مطلياً بأصباغ المهرجين«
استعارة تحوّل الجرح إلى إنسان يكبر ويزيّن قسراً بألوان زائفة. الدلالة هنا مزدوجة: المعاناة التي تُخفيها الأقنعة الاجتماعية والسياسية.
»الأشلاء المعلّقة.. هنا تتعانق«
مفارقة استعاريّة، إذ كيف للأشلاء أن تتعانق؟ لكن الشاعر يخلق صورة مكثفة عن وحدة الموتى، حيث الدم يوحّد الأعضاء الممزقة في معنى وجودي واحد.
»السفّاح يريد التهام الحرف والأسفار والعمر«
استعارة ترفع السفّاح من مقام الفرد إلى مقام الكائن الأسطوري الذي يبتلع الرموز والمعنى والتاريخ، ليجعل من سلطته مرادفاً للمحو الشامل.
هذه الاستعارات تؤسس عالمين متقابلين:
الجرح = حياة، نمو، ولادة.
السفّاح = موت، محو، ابتلاع.
.2التكرار بوصفه بناءً دلالياً
التكرار في النص ليس زخرفاً، بل آلية دلالية وإيقاعية:
تكرار لفظ الجرح:

يتكرر أكثر من عشر مرات في سياقات مختلفة («هل يولد الجرح..» – «يشبّ الجرح..» – «يا نائح الجرح..» – «إن الجرح لذّة»).

هذا التكرار يعكس هيمنة مركزية تجعل الجرح قطباً دلالياً للنص، في مقابل السفّاح.

تكرار لفظ «السفّاح:«

يظهر في مواقع متواترة، ويأخذ شكل النداء: «يا سفّاح.«..

التكرار هنا يمثل مواجهة خطابية، حيث يحاور الشاعر خصمه عبر الترديد المستمر، وكأنه في طقس استحضار.

تكرار صيغة «كان يريد:«...

متوالية سردية تتكرر أربع مرات متتابعة:

»كان يريد الصعود إلى النبع / كان يريد التهام الحرف والأسفار والعمر / كان يريد ترميم وجهه بالبهار / كان يريد سجن الجرح.«...

هذا التكرار يكشف إصرار السفّاح، ويُبرز طابعه القدري الجارف.

التكرار إذن يخلق إيقاعاً داخلياً يوازي الصراع الدلالي بين الجرح والسفّاح.

3.التوازي التركيبي

النص يبني جملة من التوازي التركيبي (syntactic parallelism) الذي يعزز الإيقاع ويدعم المعنى:

التوازي بين جمل الأمر والنهي:

»قف عند عتبة البعد ما تطوى المسافات«..

»لا تحاول نظم دقات الرؤى / لا تحاول سجن أنفاسي«

هنا التوازي يُظهر خطاباً مُوجّهاً يوازن بين التثبيت والتحذير، بين الأمر بالتوقف والنهي عن السيطرة.

التوازي بين النداءات:

»يا نائح الجرح أشباه عوادينا.. / يا نائح الجرح شبق الموت«...

»يا سفّاح.. إن الحب لذّة / إن الجرح لذّة«...

التوازي يحوّل النص إلى مسرح حواري، حيث يخاطب الشاعر شخصيات رمزية في تكرار إيقاعي يشبه تراتيل الطقس.

التوازي الإيقاعي:

يتجلى في التكرار المتتابع للكلمات: «خطورة..خطوتان..خطوات..»، حيث يتحول التوازي إلى تجسيد حركي لصورة السير والارتحال.

4.الصورة المركبة والتضاد البلاغي

من أبرز سمات النص قيامه على التضاد البلاغي:(antithesis)

»إن الحب لذّة / إن الجرح لذّة»: مقابلة بين الحب والجرح، حيث يوحّد بين ما هو لذيذ وما هو مؤلم، ليقلب المنطق المألوف.

»قطرة تسقط ميّتة لم يسمع لها صراخ»: التضاد بين الموت/الصمت والصراخ/الحياة، يعكس عبثية القتل.

»القوافل في مأمنها» في مقابل «الأوراق المغتصبة»: تضاد بين الاستقرار والاغتصاب.

التضاد في النص لا يقتصر على الجانب البلاغي، بل يعكس البنية السيميائية العميقة التي تحكمه (الحياة ⇔الموت،الذاكرة⇔النسيان).

5.البنية الكلّية للصورة

يمكن القول إن الصورة الشعرية في النص تتحرك وفق ثلاث دوائر:

1.الدائرة الحسية: صور الجسد والجرح والأشلاء.

2.الدائرة الرمزية: صور السفّاح والنبع والجنود.

3.الدائرة الكونية: البحر، الموج، الصخور، التل العتيد.

هذا التدرج من الحسي إلى الكوني يجعل من الصورة الشعرية جسراً بين الذات والوجود، وهو ما يمنح النص بعده التأويلي الفلسفي.

هكذا يتضح أن المستوى البلاغي-الصوري في «الجرح والسفّاح» ليس مجرد زخرف جمالي، بل هو البنية الأساسية التي تسمح للقصيدة بتمثيل صراعها الوجودي.

رابعاً: التحليل التأويلي الفلسفي

إن قصيدة «الجرح والسفّاح» لا تقتصر على مستوى جمالي-تصويري، ولا حتى على مستوى رمزي-أسطوري، بل تنفتح على أفق تأويلي فلسفي يجعلها نصاً وجودياً بامتياز، إذ تطرح أسئلة الكينونة والمعنى، وتُحيل على صراع أبدي بين الذاكرة والنسيان، الحياة والموت، الكلمة والصمت.

1. الجرح بوصفه وعياً وجودياً

الجرح في النص ليس أثراً مادياً، بل علامة للوجود الممزق:

»هل يولد الجرح من أوردة السفر؟«، هذا السؤال يفتح أفقاً أنطولوجياً: هل الألم ملازم للحركة؟ هل الوجود ذاته مشروط بالجرح؟

الجرح هنا يقترن بـ«السفر» الذي يمثل رمز الاغتراب الإنساني. وكأن كل محاولة للوجود خارج الذات تقتضي ندبة، أثراً لا يزول.

بهذا يصبح الجرح مرادفاً للوعي: أن تكون موجوداً يعني أن تكون مجروحاً، وأن الذاكرة هي أثر لا ينمحي.

2. السفّاح كصورة للعدم

»السفّاح لن يتراجع«، جملة تقريرية تصف السفّاح كقوة مطلقة، لا شخصية عابرة.

السفّاح لا يكتفي بالقتل الجسدي، بل يسعى إلى «التهام الحرف والأسفار والعمر»، أي القضاء على المعنى والزمن واللغة.

في هذا المعنى، السفّاح رمز فلسفي لـ العدم، أو للفناء الذي يتغيا ابتلاع الكل.

إنه ليس شخصاً يُحارَب، بل هو قانون النسيان والخراب الذي يسكن العالم.

3. الحبّ والجرح: جدلية اللذة والألم

من أعمق التحولات الدلالية في النص تلك التي تقرن بين اللذة والألم:

»إن الحب لذّة / إن الجرح لذّة.«

هذه الجملة تفكك الحدود بين المتناقضات، وتجعل الوجود وحدة من الألم والنشوة، الموت والحياة، الحب والجرح.

هذا المنطق يعكس فهماً وجودياً قريباً من الفكر الصوفي والفلسفة الهايدغرية: الكينونة لا تتحقق إلا في تجربة الألم الذي يفتح إمكان المعنى.

4. الذاكرة والكتابة كأفق للخلاص

رغم حضور السفّاح وجنوده، يظل النص متمسكاً بالقوة المضادة: الكتابة.

حتى حين يقال: «هكذا يثرثر جنوده فوق أوراقنا المغتصبة»، فإن فعل «الثرثرة» لا ينجح في محو الأوراق، بل يكشف ضعف السفّاح أمام صمود الحرف.

الشاعر يصرّح: «لا تحاول سجن أنفاسي / في دوائر..في خطوط..في تعازيم الخلود والجمود». هذه مقاومة وجودية، إذ الكتابة لا تُسجن، لأنها فعل انفتاح دائم.

إذن الكتابة/الجرح تصبح أفق الخلاص: ما يبقى أمام الفناء هو الكلمة، والذاكرة التي تتحدّى النسيان.

5. البنية الفلسفية الكامنة

من خلال كل ما سبق، يمكن تلخيص البنية الفلسفية للقصيدة في ثنائية:

الجرح = الوجود، الذاكرة، الوعي.

السفّاح = العدم، النسيان، الفناء.

لكن النص لا يكتفي بالمقابلة، بل يكشف عن جدلية: العدم يولّد الوجود، والسفّاح يكشف عن ضرورة الجرح، أي أن الموت شرط للحياة، والذاكرة لا تنمو إلا تحت تهديد النسيان.

6.البعد الكوني

بهذا المعنى، تصبح القصيدة أكثر من شهادة شعرية على تجربة قمعية أو جرح جماعي، إنها تأمل فلسفي في شرط الإنسان الكوني: أن نكون بشراً يعني أن نكون في مواجهة دائمة مع سفّاح داخلي وخارجي، مع قوة تسعى لإطفاء أنفاسنا، ومع ذاكرة ترفض الانطفاء. ي يمكن القول إن التأويل الفلسفي يضع نص «الجرح والسفّاح» في سياق الأدب الوجودي-الصوفي معاً: أدب يحفر في الكينونة عبر صورة الجرح، ويقاوم الفناء عبر عناد الكلمة.

خاتمة

لقد حاولت هذه الدراسة أن تقارب قصيدة "الجرح والسفّاح" مقاربة سيميائية متعددة المستويات، إذ انطلقت من تحليل العنوان بوصفه عتبة دلالية مكثفة تستبطن ثنائية الضحية/الجلاد، وتكشف منذ البدء عن مسار الصراع بين الذات والآخر. ثم تم الانتقال إلى الإطار النظري المنهجي الذي استند إلى الخطاطة العاملية والمربع السيميائي باعتبارهما أداتين للكشف عن البنية العميقة للعلاقات الدلالية، إضافة إلى تحديد مستويات القراءة البلاغية والإيقاعية والتأويلية.

على مستوى التحليل النصي، كشفت الخطاطة العاملية عن دينامية الفعل الشعري حيث يتحدد الجرح بوصفه ذاتًا فاعلة تسعى نحو استعادة الحرية والذاكرة عبر الكلمة، في مواجهة السفّاح الذي يمثل قوى المنع والإقصاء. أما المربع السيميائي الأول (الحرية/القمع – الذاكرة/النسيان) فقد أبرز طبيعة التوتر الثنائي الذي يحكم البنية الخطابية، فيما أتاح المربع السيميائي الثاني (الحياة/الموت – الذاكرة/النسيان) الانتقال إلى أفق رمزي أكثر شمولاً يربط بين الموت كقسر والنسيان كطمس للحقيقة، وبين الحياة كإرادة والذاكرة كحفظ للمعنى.

إيقاعياً، تبيّن أن النص ينهض على جدلية الانكسار والتواتر، حيث يوازي تذبذب التفعيلات وتكرار الوقفات الشعورية مسار تبدّل الحَدَثات الخطابية، مما يترجم الصراع بين الامتلاء والفراغ، بين الانتصار والانكسار. أما على المستوى البلاغي-الصوري، فقد حضرت الاستعارة الكبرى (الجرح/السفّاح) بوصفها بؤرةً للصور الشعرية، إلى جانب التكرار الذي أعاد إنتاج التوتر اللفظي والدلالي، والتوازي الذي خلق نوعًا من التوازن الإيقاعي في قلب اللاّ توازن الدلالي.

وصولاً إلى المستوى التأويلي الفلسفي، تجلّت القصيدة كخطاب يتجاوز المباشر التاريخي ليطرح إشكالية أعمق متصلة بمعنى الوجود ذاته: الذاكرة في مواجهة المحو، والحرية في مواجهة الاستلاب، والإنسان في مواجهة العدم. إنها نص يضع القارئ أمام سؤال الهوية، ومعنى الكتابة، وإمكان المقاومة عبر الشعر.

هكذا يتضح أن قصيدة "الجرح والسفّاح" نصٌّ مفتوح يتجاوز بعده الذاتي واللحظي ليرتسم كخطاب كوني، حيث يتأسس الشعر كفعل وجودي يمتح من الذاكرة، ويقاوم النسيان، ويعيد الاعتبار للكلمة بوصفها أداة بقاء في وجه العدم. وبذلك تشكّل القراءة السيميائية مدخلاً مثمراً لاستكناه طبقات المعنى التي تنفتح على التاريخي، والإيقاعي، والرمزي، والفلسفي، في نص يتجاوز حدود الشعر الجزائري الحديث ليحاور أسئلة الإنسان في كل زمان ومكان.

الهوامش:

1- **صلاح فضل:**
بلاغة الخطاب وعلم النص، القاهرة :**الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان**،.**1992**

2- **عبد السلام المسدي:**
الأسلوبية والسيميائيات، تونس :**الدار التونسية للنشر**،.**1983**

3- **محمد مفتاح:**
تحليل الخطاب الشعري: استراتيجية التناص، الدار البيضاء :**المركز الثقافي العربي**،.**1985**

4- **صالح غيلوس :**